الفلسفة اليوم

جون لويك نونسي
حوار أجراه بن شرقي بن مزيان

بعد وفاة شخصيتين مهمتين في الساحة الفلسفية منذ سنتين (الحوار أجري سنة 2005): جاك دريدا وبول ريكور واللذين طبعا تاريخ الفلسفة بإشكالياتهم المثيرة، يبدو لي أنه من الضرورة بمكان العودة إلى التفكير في مستقبل الفلسفة. كيف يمكن للفلسفة أن تواصل طريقها الإشعاعي؟ ما هي الإشكالات الكبرى التي يشتغل عليها الفلاسفة حاليا؟

من بين هؤلاء الفلاسفة جون لويك نونسي أستاذ الفلسفة بجامعة ستربسبورغ لغاية 1998. فيلسوف فرنسي صديق حميم للفليسوف جاك دريدا مؤلف لمجموعة كبيرة من الكتب والنصوص الفلسفية من بينها المطلق الأدبي، معنى المودة، كن وحيدا ومتعددا، الدخيل، ومؤلفات أخرى. ولغرض إفادة القارئ العربي بهذا الحوار إرتأيت من الأفضل ترجمته للغة العربية.

السؤال :

هل يمكن أن تحدثنا عن مشوارك الفلسفي؟

الجواب:

لا أعتقد أنه مفيد كثيرا. في بعض الكلمات، بدأت باكتشاف الفلسفة عن طريق التمرين على التفكير الديني، داخل حركة شبانية مسيحية. أظن بأنني اكتشفت فعلا مذاق تحليل، وتفسير النصوص والتساؤلات النقدية هنا. قد يبدو هذا شيئا متناقضا، ولكنه فضاء أكثر حيوية، وتفتحا ومحفوف أكثر بتساؤلات تعمل على تعرية دينية للبروتستانتية الألمانية. بعدها وجدت أمامي ومن خلال مشواري الدراسي كل من: بول ريكور، وكونغليام، وجون فال،وألكياي، وأرون أذكر المعروفين أكثر، إنه تكوين جيد بطبيعية الحال. ولكن الانطلاقة الحقيقية جاءتني مرة أخري من الكنيسة من مسيحي إسمه جورج مورال، الذي كان يدرس هيجل ضمن دروس حرة. إن عاطفته ومعرفته شدتني أكثر لفينومنيولوجيا الروح، والذي بقي حاضرا دائما عندي. لقد غادرجورج مورال الكنيسة. بعد ذلك إندمجت في غليان الستينيات، التوسير، فوكو، لاكان، دولوز، دريدا إلتقيتهم كلهم مرة واحدة وبدون أن افهمهم جيدا. ولكن بسرعة تميز دريدا لدي "" الصوت والظاهرة"" شد انتباهي، إكتشفت قطيعة حقيقة مع ما عرفته. مسألة الاختلاف أبعدتني عن الهوية . في الوقت نفسه صديق لي، فرانسوا فارن، جعلني أكتشف هيدغربهذه القواعد إلتقيتو في (67) فيليب لاكو لابارت الذي عرفني بالمسألة الأدبية. كل هذا أخذ طابع الجسم الواحد إذا أمكننا تسمية ذلك، مع العلم أن الفلسفة ليست لا أطروحة ولا سؤال وإنما هي "" كتابة "" أي هي إبداع لمعنى، معنى غريب دائما عن نفسه (إذا استعملت تعبيرا يناسب ما أحسست به). ها هو تكويني. بعد ذلك، يتبع كل هذا مراحل تتماشى وعملي الخاص ولظروف خاصة، هناك الهاجس السياسي ، والجمعوي ، والفن وأخيرا تفكيك المسيحية، والواحيدية على العموم، أي بمعني قطيعة مع الفلسفة ذات القهم الواحد، ولكن بمعنى الحفر والتجذر في شروط العقل (الذي أنعته هنا بالمعنى الأكثر توسعا)، أي واحيدية العقل والمعقولية والعقلانية التي هي السبب العميق للمشكل...، الفلسفة يجب دائما عليها ومن جديد التفتح أي أن تخرج عن ذاتها...

السؤال الثاني:

إذا اردت أن أعود بك لإحياء المئوية الثانية لوفاة كانط سنة 2004 والتي تزامنت مع فقداننا لأسم كبير مثل جاك دريدا الذي تفضله كثيرا، حتى أن مقالك الذي كتبته حينها في جريدة لمونود والمعنون (ابقى، عد) نفهم بأنه جاء بروح شاعرية؟

الجواب

لست متأكدا من أنني فهمت سؤالك (جاء بروح شاعرية)؟ ولكن إذا أردت أن أفهم الأمر أكثر، أستطيع أن أقول في علاقتي مع هذا الصديق الكبير، وهذه الشخصية والمفكر، جاك دريدا، توجد فعلا مسألة الشاعرية والأبدية. الشاعرية على الأقل في المعنى الذي ما تفتأ من خلاله، وبه الفلسفة تتحمل مخاطر حدود المعنى، وفي المنطقة التي تحتمل فيها اللغة معنى بعيد عما يشار إليه، أي المفهوم، حيث ينفتح كل هذا على علاقة أخرى غير معتبرة ولكنها لغوية ومفكر فيها مع العالم إن الأبدية بالمعنى الذي تكون فيه الشكل، كشكل قوى يطبع الشيء نفسه لا يمكن أن يمر هكذا ،وهو ليس بمؤلفه ولا بشخصيته، والذي هو في حقيقة الأمر ليس سوى بصمته، إمضاءه إذا اردنا ذلك (دريدا اشتغل على هذا المعنى، الإمضاء) حيثما تكون إمتدادته، واسمه في مستوى ما وحيث يشبه هذا الاسم نفسه اللامسمي بالرغم من أنه غير قادر على أن يحتوى التعبير الذي يعطي للشكل نفسه إمكانيته كما هو، هذا وهذا الأبدي، أي أنه خارج الزمن، ليس ككتلة واحدة جامدة، وإنما كشيء أو كأحد الأشياء التي لا تتوان في أن تعود في كل وقت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا ما تفعله اسماء مثل أفلاطون أو دي فانشي وهوما يعني العود الأبدي.

السؤال الثالث:

سنة 2005 كانت بمثابة الذكرى المئوية لميلاد سارتر، إذا ما حاولت الرجوع معك لبروناما الفلسفة الفرنسية كيف يمكنكم تقييم هذه الأخيرة الآن قياسا بما أنجز، أتحدث عن الفترة المعاصرة ؟

الجواب:

كيف يمكننا أن نتحدث عن تقييم هذا يتطلب مني صفحات كثيرةلولكن مادمت تتحدث عن سارتر أظن أن هناك مقال نشرته بجريدة لوموند، بطلبهم، لمجموعة خصصت لسارتر، والذي نحتفل بالذكرى المئوية لميلاده(بينما بالنسبة لدريدا هذا العام 2005 كان من الممكن أن تكون الذكري 75 لميلاده هناك فرق 25 سنة الشيء الذي يؤكد أكثر محورية القرن 20) أظن إذن أن هذا المقال يستطيع أن يشكل مقدمة لما نسميه تقييم أعطيه لك هنا [نعطي هنا مختصرا له، مقال منشور بجريدة لوموند ليوم 11 مارس 2005] تحت عنوان سارتر في تقاسيم المياه (شخصية سارتر تمركز بطريقة منهلة الأبعاد الرئيسية لزمن متحرك ومتردد ولقرار في مجموعه، والذي في أثناءه ومن خلاله حرك درس البراكسس الفلسفي في نصف القرن العشرين ومعه علاقة هذا القرن بتاريخه، لأجله وباتجاهه هو وباتجاه العالم، و لأجل إمكاناته ومتطالباته. سارتر وعلاقة سارتر طبعا هو ما نستطيع اعتباره انقلاب القرن العشرين والتفتح في ذاته على وضع جديد)

السؤال الرابع:

في إجابتك الأولى تعتبر الفلسفة كتابة(أي إبداع لمعنى دائما غريب في ذاته، الفلسفة بالنسبة لكم (يجب دائما أن تنفتح، تخرج عن ذاتها) هل نستطيع القول أن هذا الدور للفلسفة هو من تاريخها، أو أنه يعود لما عرفته من خلال تاريخها من تطورات معاصرة. نيتشه مثلا أراد أن يجعل من الفلسفة والفيلسوف في نصه المنشور 1873 الفيلسوف كطبيب - الوحيد المتفرد؟

الجواب.

لا، في الحقيقة هكذا بدءت الفلسفة:أعطيت مهمة حملتها منذ البداية، الفلسفة منذ أفلاطون هي التمرين لما لاينتهي واللامنتهي لتجاوز ذاته. ولكن بالتأكيد أن العالم المعاصر غير نظام هذا التجاوز، عوض وضع منفذ(epekeina tès oudias) يعطي بدل ذلك حركة متواصلة أو بالتقريب وبكيفية أكثر تعقيدا مطلبا يتجاوز التجاوز في حد ذاته.إذن فكرة طبيب الحضارة تعود لاعتبار أن لاتناهى المعنى (التجاوز) هو في ذاته مرض الغرب (الميتافيزيقا). لذا،لايكفي تأكيد التجاوز لمعالجته، أما بالنسبة لتوحيد المنفرد هذا شكل آخر، مقلوب أو تناظري للطبيب. أظن أن الشكلين موجدان عند كل فيلسوف.

السؤال الخامس:

مسألة الغربة، تحيلني على نقطتين: الأولى تخص نصكم حول *الدخيل* ***l'intrus*** والذي أفضله كثرا، والثانية في مقالك حول سارتر تثير سؤال *الكرم* ***la générosité*** ما هي المقاربة التي نستطيع عقدها بين الغربة والكرم، لأن مسألة الغربة والكرم تعيدنا لمسألة الضيافة والتي ناقشها دريدا. هل هناك قاسم مشترك بين هذه المصطلحات الثلاث: *الغربة، الكرم، الضيافة*.

الجواب.

نعم، بالتأكيد. العامل المشترك هو أنها تأتي كلها من الخارج، من البعيد. الغريب يأتي من بعيد، الضيف يبقي غريب. الكرم لا يوجه فقط للغير، للغريب في حد ذاته، ولكنه هو في ذاته يأتي من الخارج. لست سيد كرمي، الذي هو ليس لي. الكرم هو للكائن أو للحياة أو لله، كما تريد تسميته. المهم هو هذا: أنه يأتي من الخارج ويذهب للخارج. لا يجب الاحتفاظ بأي شيء منه. حتى الاحتفاظ بهذا الذي لا نريده...، هذا هو الصعب، كل الأخلاق أظن، تختصر في هذه الاستقبال للغريب وللغربة في حد ذاتها ولكن لا يعني أن هذا الاختصار يدل على أن الأمرسهل!

السؤال السادس:

حينما ذكرت أنات أليكام **Annette Elkaïm** ونصها المعنون: *سارتر، الحقيقة والوجود* وأنت تثيربهذا في الحقيقة ذلك التقارب بين الحقيقة والكرم. الشيء الذي يعيدنا لفكرة التفتح التي كانت نتيجة الثورة على الفكر التوتياليتاري الذي ناقشته بقوة مدرسة فرانكفورت. أريد فقط أستاذنا الفاضل أن أعرف ما هو الرابط الموجود بين هذه الظاهرة والتوجهات الجديدة في الفلسفة الفرنسية؟

الجواب.

أظن بأن الفلسفة الفرنسية منذ أربعين عاما(لم يعد هذا جديدا) تفكر في أفق اندثار أفق الماركسية(والذي أعتبره سارتر غير متجاوز) يعني اندثار معنى التاريخ. أو اندثار المعنى، للتاريخ القصدي والأخروي. أظن أن المفيد يبدأ من هنا ولكن هذا وضعنا أمام توجهين غير متوافقين في القوة: من جهة الرغبة في العودة لأبعد من هذا التاريخ لكانط أو لأكثر بكثير منه، لفكر القيم والمعقول، للحق ولحدود التجربة، ومن جهة أخرى للفكر و وللمتطلبات الضرورية التي تستجيب في أصولها لأبعاد ميتافزيقية، أي متطلبات المطلق(اللامشروط الكانطي) أو للحقيقة ولكن بإعادة تشكيل لكل هذه المصطلحات في تجاوز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للميتافيزيقا(هو كذلك تجاوز للتجاوز في حد ذاته كما أشرت إليه من قبل). في نفس الوقت هذا ما دفع الفلسفة لأن تضع في الدراسة كل مواضيعها الكبرى التي أصبحت تقليدية: العلم، السياسة، الفن، الدين. كل هذا في العمق يغير نظامه.

السؤال السابع:

من بين الشخصيات التي نعرفها كثيرا في العالم العربي برغسون بالرغم من أنه لعب دورا أساسيا في الفلسفة الفرنسية لم يعرف خلال الثلاثين سنة الماضية حضورا بل بالعكس في سنة 2005 أو قبلها بقليل في بعض دور النشر كمجلة الآداب نشرت بعض كتبه ومقالاته كيف تفسرون هذه العودة؟ هل البرغسونية هي ضابط روحي أو أن فلسفته غيبت نظرا للتضخيم الذي عرفته الفينومينولوجيا والوجودية في فرنسا؟

الجواب.

لا يجب أن تنسي أن برغسون لعب دورا في فكر دولوز! ولكن بجانب برغسون الدولزي، أظن أن هناك برغسون أقل بكثيرا، أقل قوة عمليا هو الذي أزيح قليلا ما بقوة فكر هوسرل و خاصة هيدغر. على أي قوة أتحدث؟ عن تلك التي تأتي من الفكر الذي لا ينتهي بالنسبة لديه السؤال والقلق، ويدفعنا دائما للأمام. مع برغسون لدينا إحساس أن كل شيء له معنى معطى، يعرفه برغسون فقط ، أي الحدس الذي يتحدث عنه ليقول في الأخير انه لا يعرفه كموضوع. بالنسبة لي ينقص برغسون بعد التجربة الحقيقية لفكر. هذا يعني أنه ليس هناك شك بأنه ساهم بقوة في زحزحة النظام الكلاسيكي للفكر.

أجرى الحوار

بن مزيان بن شرقي

قسم الفلسفة جامعة وهران

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com